الجميلة تربح ايضاً ربحاً عظيماً من توافد الوف الناس عليها . وهؤلاء الناس يربحون ايضاً صحة وعافية ومعرفة ورياضة وتفرغاً بضعة ايام من اشغالهم اليومية

امر يهم الشرق كله لا مصر وحدها

# مستقبل العامل والفلاح فى مصر

## اى تسعة اعشار الامة

### شيء جديد في خطبة

لانتعرض المجلات ( للسياسة البحتة ) كما قلنا في صدر هذا الجزء . ففي مباحث الجرائد الكبرى غنى عن مباحث المجلات في هذا الشأن . ولكنه اذا بدا موضوع جديد أو امر خطير لاصق بالمباحث التي اعتادتها المجلات فيحسن بها ان تشير اليه

لايخفى ماعليه حالة العملة والفلاحين في مصر وهم تسعة اعشار الامة المصرية تقريباً . فرب عامل اجرته في اليوم الواحد فرنك واحد ( اربعة غروش ) او اقل في حين ان اقل اجرة للعامل في اميركا ريال في النهار . والفلاح في مصر يفني عامه تعباً في زراعة ارضه ولا يبقى له من دخلها الا الذرة يعيش منها هو وعيلته . واصل هذا البلاء امران . الاول جهل الفلاح بطرق الكسب وزيادتها وبحفظ المال المكتسب واستثماره والدفاع عنه . والثاني قوة الذين يعاملون الفلاح والعامل ودهاؤهم يساعده اضطرارهما الى الرضى بما يفترضونه ويرسمونه . وهذه حال لازوال لها الا بجمعيات يؤلفها اصحاب كل حرفة من الحرف وكل فريق من العملة لتفهيمهم الطرق التي يصونون بها نفوسهم والدفاع عن حقوقهم ليس بازاء الهيئة الحاكمة فقط بل بازاء مستخدميهم ومستأجريهم ومبتزيهم شأن العملة في اوروبا واميركا . والعقبة الكبرى التي في طريق هذه الجمعيات امران . الاول عدم فهم الشعب نفسه اهميتها وتعذر اتحاده وتضامنه فيها لاننا لم نبلغ طور التضامن بعد . والثاني استحالة قيام هذه الجمعيات وانتشارها وتعاظمها ان لم يتولَّ قيادة العملة والفلاحين زعماء من اهل

النفوذ والرأي والمعرفة ينظمونهم ويدربونهم كما يفعل زعماء العملة في اوربا الذين منهم الآن في انكلترا المستر كير هردي والمستر لويد جورج وزير المالية واصله عامل من العملة والمسيو جوريس في فرنسا والمسيو بيل في المانيا والمستر براين في الولايات المتحدة الخ

و يظهر من خطبة جناب رئيس الحزب الوطني المصري عزتلو محمد بك فريد في المؤتمر الاخير ان هذا الحزب بدأ يفكر في هذه المسألة الكبرى . واذا اخرجها من حيز القوة الى حيز الفعل كما قال حضرته في خطبته فان انقلاباً جديداً في مصر على الابواب . وسلطة جديدة آخذة في التكون والبروز الى ميدان الحياة المصرية . وعلى الحكومة المصرية ان تحسب حينئذ حساباً عظيماً لتلك القوات الجديدة الاخذة في التكون

ومما قاله حضرة الخطيب في خطبته ( ان الفلاح المصري يدفع اكبر جزء من الميزانية المصرية بينما اصحاب المصارف والتجار اصحاب الاموال المنقولة لا يدفعون شيئاً ) ومقتضى هذا الكلام وضع الضريبة على الدخل التي طعنها السيد حسن موسى العقاد في احدى رسائله في الشهر الماضي طعنة دامية قبل ان يجري البحث فيها . كأنها غول يخشاه اهل المال فاذا تنسموا ريحه من بعيد هبوا لمقاومته قبل وصوله

ومن اقوال حضرة الخطيب ايضاً ( ان الفلاح المصري اتعس فلاح في العالم ولا خلاص له من هذه الحالة الاَّ بنشر التعليم الابتدائي وجعله اجبارياً وتشكيل نقابات خصوصية للدفاع عن حقوقه امام الحكومة وامام الملاك الذين يزيدون عليه الاجارات بمناسبة وبغير مناسبة وامام المرابين الذين يأخذون منه مابقي لهُ »وايضاً (العمال في بلادنا مهملون كالفلاح فلا قانون يُلزم المقاول بدفع تعويض لمن يموت شهيد عمله او يقطع احد اعضائه فيصبح عديم الكسب . ومن الامثال العامية ( ان الفاعل ديته أُجرته ) ولا الحكومة تفكر في الدفاع عنه — نقابات العمال قوة تخضع لها الحكومات وتطأطئ رأسها امامها — بفضل مجهودات هذه النقابات وضعت قوانين في انكلترا وفرنسا والمانيا تضمن لكل عامل في الصناعة او في الفلاحة معاشاً سنوياً متى بلغ سناً معلومة ولم يكن لديه ما يسد الرمق ويمنعه من التكفف — ولا سبيل لايجاد هذه الحركة المباركة في مصر حتى يصبح الصانع والزارع في مأمن من الفقر والتكفف عند الشيخوخة او المرض او لتحسين حالته المعاشية الا بالاكثار من فتح المدارس الليلية في المدن والقرى لتعليمهم حقوقهم وواجباتهم وتفهيمهم اهمية النقابات وشركات التعاون ) الخ ثم قال حضرة الخطيب ان الحزب الوطني قد شرع في تنفيذ هذه الفكرة

فهذا موضوع خطير اذا عمّ مصر تقل طبقاتها الضعيفة من حال الى حال ودخلت هذه الطبقات بجمعياتها الى ميدان السلطة وصار لها كلمة نافذة وبدأ في مصر النزاع بين (الطبقات) طبقة المأجورين وطبقة المستأجرين . وهذا النزاع موجود الآن بين النزلاء الاجانب ولكنه ضعيف

الا ان الامر الجدير بالاعتبار هو هل يستطيع الذين يتولون قيادة هذه الحركة الاجتماعية ايًا كانوا ان يجروا على خطتها الطبيعية المألوفة عند جميع الامم ولا تسوءهم في منتصف هذه التجربة النتائج التي تنتج عنها كقيام نزاع شديد بين اهل المال واهل العمل لاسبيل الى ازالته وقيام افراد متعجلين يمنون الشعب اماني يستحيل انفاذها فيستأسرون امياله ويجتذبونه اليهم وظهور المبادىء الاشتراكية حينئذ في مصر بمظهرها الواضح الفعال . وغني عن البيان اننا اذا القينا هذا السؤال فانما نلقيه على جمهور اهل المال واصحاب الاملاك لا على العملة والفلاحين لان نتيجة هذه الحركة الاجتماعية تكون على الدوام في مصلحة العملة والفلاحين. واذا كان قد اصبح موجودًا في مصر فريق من اهل الرأي واصحاب الاموال والاملاك يروقه احداث حركة اجتماعية مفيدة لسواد الشعب كهذه الحركة وان اضرتهم هم في بعض مصالحهم فذلك دليل على ارتقاء حقيقي . ويكون حينئذ شأنهم شأن رجال الثورة الفرنسوية الاولى الذين حرروا الفلاح والعامل في بدء الثورة ثم استمر ابناء الفلاح والعامل يتضامون ويتضامنون حتى ازهقوا نفوس ابناء الساسة الذين حرروهم وخلفاءهم بجمعياتهم التي كادت تصبح صاحبة سلطة فعلية على الحكومة الجمهورية نفسها . واننا كلما سمعنا في (الجريدة) الغراء صوت مديرها الذي مع كونه من طبقة اعيان مصر واصحاب الاملاك فيها (فضلاً عن مقامه الشخصي الذي بلغ اليه بعمله وفضله) يصرخ في انحاء القطر صرخاته المعروفة حتى ضد الطبقة التي حضرته احد افاضلها يخيل الينا اننا نسمع اصوات اولئك الرجال الذين قلبوا الامة الفرنسوية من حال الى حال . واذا كان ظهور مثل هذه الاصوات في مصر دليلاً على قرب بلوغ الفلاح المصري والعامل المصري — اي تسعة اعشار مصر — شيئًا من صلاح الحال ورفعة الشأن بعد ماتحملاه من البلايا والرزايا منذ عهد الفراعنة الاولين حتى اليوم — فحبذا هي وحبذا السعي في هذا السبيل

هذا موضوع لايهم مصر وحدها بل يهم الشرق باسره والعثمانيين في مقدمته . وهذه مسألة حسابية في منتهى البساطة فانه اذا كان تسعة اعشار الامة مهملة ضعيفة لاموازنة بين دخلها وخرجها ولا قوة لها على تدبير شؤونها تبقى الامة ضعيفة قاصرة ولا يغني عنها

ارتقاء عشر او نصف عشر منها . بل ان الاعشار التسعة المهملة الضعيفة تعدي العشر الذي ارتقى اذا استمرت على اهمالها وضعفها وتمادت فيهما . وبهذه العدوى تجره وتدليه اليها بدل ان ترتفع اليه . ولذلك لانرى شيئًا ادعى الى العجب والدهشة من الاراء السائدة بيننا في شأن العملة والفلاحين والطبقات الضعيفة . فان هذه الطبقات اذا قامت بمظاهرة او ورد ذكرها في شأن يقال عنها انها غوغاء لاعقل لها ولا يعتد برأيها . وهذا ناشيء عن افكارنا الجبروتية القديمة التي كانت لضعفها وذلها تؤله الاعيان والحكام وكل من يُرجى نفعه او يخشى ضره وتعد عامة الشعب انعامًا سائمة . ونحن لقصر نظرنا لا نرى ان هؤلاء العامة هم جمهور الامة فاذا ارتقوا ارتقينا بارتقائهم وكنا امة راقية واذا انحطوا انحططنا معهم وكنا امة منحطة

ولقد يُعتد في هذه المسألة بقول نيبتش القائل : ان الشعب قطيع من المواشي لا يعتد برأيه ويجب حكمه بالقوة والجبروت وان مبادىء الثورة الفرنسوية والاديان التي اقرت المساواة والاخاء والحرية مبادىء افسدت العالم واخرجته عن طريقه القويمة . ولكن لا ننسين ان نيبتش يقول هذا القول في امم منظمة راقية طبقاتها العليا والمتوسطة قوية كثيرة العدد متسلطة على الطبقات الضعيفة بالطرق السياسية والصناعية والتجارية والاختراعات الحديثة فهي تعديها من ارتقائها ولا تُعدى هي من انحطاطها ولذلك ترفعها اليها شيئًا فشيئًا . وليست المسألة عندنا مسألة فلسفية علينا البحث في مبادئها واصولها لتقرير حق كل طبقة وطريقة حكمها تقريرًا فلسفيًا وانما المسألة مسألة انهاض تسعة اعشار امة . اي امة كاملة تقريبًا يكاد لايكون لها ارستوقراتية سياسية او اجتماعية او علمية ( كالارستوقراتية المقصودة في كلام المتكلمين في هذا الشأن ) تحكم الامة وتنظمها وتتحمل عنها صدمات العمران والارتقاء وتتولى قيادتها في عقبات الحياة . وسنعود الى هذا الموضوع في الجزء التالي لنبسط وجوهًا جديدة لهذه المسألة ونقارنها باحوال الامم الاوروبية والاميركية